

# لقاء في الوقت الضائع

العراقيون لن ينسحبوا بالتهديد .. لقد تعقدت  
الامور ، حتى الذين يدعون اليانسحاب العراق  
لم يقولوا الى أين ينسحب ، بغض النظر عن  
رأي العراق .

صدام حسين

في حديثه مع دي كويار

---

كان العراق يفضل أن يحتل منصب الامين العام للأمم المتحدة سياس اوربي كبير لا يخضع لضغوط وإغراءات يمكن ان يتعرض لها المسؤول الدولي لو جاء من دولة صغيرة وبخاصة من دول العالم الثالث ، وقد قيل هذا الكلام عندما استقبل الرئيس صدام حسين في الشهر الاول من الأزمة الرئيس النمساوي كورت فالدهايم الذي كان من قبل أميناً عاماً للأمم المتحدة ، فكارن قيادي عراقي بينه وبين الامين العام يومئذ مواطن ( بيرو ) دي كويار ..  
- إن فالدهايم يذكرنا بالسويدي همرشولد ايام كان اميناً عاماً للأمم المتحدة ، قوياً ، لا يخضع للضغوط ولا يرى ان الدول العظمى اكبر من البلد الذي جاء منه ، اما دي كويار فيذكرنا بوزراء دول افريقية اعتادوا ان يلبسوا بدلات اكبر من قياساتهم ..  
في كل الاحوال لم يكن هناك ود بين العراق ودي كويار ..

ولم تنشأ حالة الجمود في هذه العلاقة من اعتبارات خضارية او نفسية بحتة ، لكنها كانت نتيجة ارهاصات مرحلة الحرب العراقية - الإيرانية التي طالما اشتكى العراقيون فيها من سلبية الامم المتحدة ، وعدم جرأة الامين العام في دفع المنظمة الى اتخاذ قرارات كان يمكن ان تختصر المدة التي استغرقتها الحرب .

وعندما كانت الخارجية العراقية تبحث عن عذر للأمين العام تستنتج انه شخص مؤتمهر ، وان خطواته محكومة دائماً بالسياسة الامريكية ، ولذلك وصلت القيادة العراقية الى الاستنتاج بأن دي كويار صار ( أداة ) بيد الرئيس الامريكي جورج بوش عندما تحادث معه في الثاني عشر من كانون الثاني / يناير 1991 من استراحة الرئاسة الامريكية في كامب ديفيد .

وأدركت بغداد ان الطلب العاجل الذي تلقتة من دي كويار بعد ساعات من حديثه مع الرئيس بوش ليقوم بزيارة الى العراق يلتقي خلالها الرئيس صدام حسين انما ينطوي على إشارة لا لبس فيها بأن الحرب صارت محتمة ، وان دي كويار يرتب المشهد الاخير الذي يسبقها .

توقع السيد دي كويار عند وصوله الى بغداد بعد ظهر السبت الذي عشر من كانون الثاني (يناير) 1991 ان يقابل الرئيس صدام حسين على الفور . وكان طوال الفترة التي أمضاها على العشاء مع السيد طارق عزيز مشغولاً بالسؤال : متى أقابل الرئيس ؟ .

أما العراقيون فلم يتوقفوا من جانبهم عن التساؤل : لماذا جاء ، وماذا يريد ؟ . ولماذا طلب منه الامريكان ان يأتي الى بغداد ؟

لم يكن طلب الرئيس الامريكي جورج بوش من السيد دي كويار التوجه الى بغداد غير خلاصة تحليلات أعدها خبراء امريكان بموجب سينارية مفترضة بُني على استقراء الطريقة التي سيتصرف بها الجانب العراقي بحيث يتعذر بلوغ أي اتفاق ، وما سيترتب بعد ذلك من نتائج ، ولم يكن الرئيس الامريكي يتوقع ان تحصل معجزة فيتغير الموقف العراقي المعلن ، او ان الامين العام سيكون ذا تأثير خارق يستطيع به تغيير قناعات العراقيين ، لكنه رغم ذلك أراد من الامين العام ان يؤدي الدور الأخير في المشهد الذي يسبق اعلان الحرب ، وقد يكون تمنى ان يخرج مواطن ( بيرو ) من بغداد غارقاً في اليأس والإحباط والانعاج الشخصي .

وفي حين كان دي كويار يتناول عشاءه مع طارق عزيز ، مساء السبت ، 12 / 1 / 1991 ، كان الرئيس صدام حسين يتحادث مع الرئيس السابق لجمهورية نيكاراغوا السيد دانيال اورتيجا الذي احتتمع مع دي كويار فور وصوله الى بغداد ، وأراد ان يستطلع الطريقة التي سيعامل بها الأمين العام في بغداد ، بعد ان كلفه دي كويار بإجراء هذا الاستكشاف الأولي ..

قال اورتيجا :

- إننا قلقون من النتيجة التي ستؤول اليها زيارة دي كويار الى بغداد ، فانا أعرف انه متصلب و متمسك بقرار مجلس الامن بعد ان ألتقيته قبل خمسة ايام في نيويورك ..

وذكر رئيس نيكاراغوا السابق ان الأمين العام أخبره عن وجود مشروع قرار جديد لمحاصرة العراق في مجال التلكس والاتصالات .  
فعلق الرئيس صدام حسين :

- لا نريد اتصالات .. فليس لدينا اليوم بيع ولا شراء مع الآخرين .

عاد الرئيس اورتيجا ليوضح انه مقتنع بأن دي كويار لم يأتيه كأمين عام للأمم المتحدة ولكنه جاء حامل رسالة بعد ان التقى مع الرئيس الامريكي جورج بوش ، فأيد الرئيس صدام حسين هذا الاستنتاج :

- إن دي كويار لم يأتيه الى بغداد إلا بعد ان طلب اليه جورج بوش ذلك :

ومضى الرئيس العراقي : أين كان دي كويار يتسكع خلال المجة التي تلت تاريخ 2 / 8 / 1990 ؟ وأين كان عندما صار العالم يتجه الى حافة الحرب ، حتى أخرجه بوش عن صمته .. وها هو يتصور انه لمجرد انه جاء الينا فيجب أن نعطيه شيئاً .. لن نعطيه شيئاً .. وبدا الرئيس أكثر حزماً ووضوحاً في

رسم ما يمكن ان يحصل بعد اللقاء مع دي كويار :

– سوف نركنه في المستقبل حتى عندما يكون هناك حل سلمي ، فلن يكون هو ضمن المشاركين في هذا الحل .

\*\*\*

بعد ست وعشرين ساعة من وصوله الى بغداد توجه الأمين العام لمقابلة الرئيس صدام حسين في القصر الجمهوري .

لم يكن امام بغداد ان تعتذر عن استقباله .. وقد صارحه الرئيس صدام حسين بذلك عندما بدأ لقاؤهما في الساعة السادسة وخمسين دقيقة من مساء الاحد الثالث عشر من كانون الثاني ( يناير ) .

– إنني لا أكتفك سرّاً كنت أريدك ان تأتي وان لا تأتي الى بغداد ، لانك الامين العام للأمم المتحدة ونحن كلنا نشكل عائلة في الامم المتحدة ، نحن جزء من هذه العائلة في العالم ، وانه لأمر طبيعي ان نحرص كي تأخذ الامم المتحدة دورها في حياة الدول .

أضاف الرئيس : كنت أريدك ان تأتي لانك تعرفنا وسبق ان تعاملت معنا .

وراح يتأمل وجه دي كويار كأنه يريد ان يسحبه الى لقاءات سابقة خلال الحرب العراقية – الإيرانية :

– لانك تعرفنا فلا بد ستستذكر خلفيات طبائنا في التفكير .

لعله أراد إفهام دي كويار ان العراقيين ليسوا من النوع الذي يتنازل عن حقوقه ، وأنهم خاضوا الحرب ثماني سنوات مع ايران من أجل عدم التفريط بحقوقهم .

وعاد يشرح له الأسباب التي جعلته يتمنى لو لم يأتته :

– لقد قلت لمجيك إيلنا في الوضع الذي يدعو فيه القادرون الى استخدام السلاح بأسرح ما يمكن ، وعند ذلك قد يجدون في زيارتك ، عندما لا تستطيع ان تقدم لهم ما يريدون ، متكاً لتقوية حجة الذهاب الى الحرب .

كان اللقاء قد بدأ بحوار مركب يحمل في أجوائه مناخ العتاب وعدم الرضا الذي لم تُغطب عليه عبارات المجاملة الدبلوماسية .

قال السيد دي كويار :

– لقد التقيت بكم سيادة الرئيس ثلاث مرات كلها كانت في ظروف صعبة .

ابتسم الرئيس صدام حسين وعلق ساخراً :

– لقد مرت ظروف ليس فيها مشاكل ولكنك لم تأته .

وهنا حاول دي كويار تلطيف الحوار فعبر عن رغبته في زيارة العراق كسائح ورؤية آثاره المهمة :

– إن كل الشعوب المتحضرة تعترف ان هذا البلد مهد الحضارة .

وعلى الفور قال الرئيس صدام حسين :

– إلا بوش ....

\*\*\*

بدأ الأمين العام يقدم وصفاً لمهمته :

– على أية حال سيادة الرئيس لقد جئت الى العراق وانا لا أحمل أي تفويض ، ولست مكلفاً بأية مهمة محددة لا من مجلس الامن ولا من الامم المتحدة ، إلا

إنني تلقيت تشجيعاً على زيارتي ، ليس من رؤساء الدول والحكومات فحسب ، بل من ( البابا ) ، ومن مواطنين متواضعين طلبوا مني إستغلال مركزنا وخاصة الجانب المعنوي فيه من أجل العلم لإحلال السلام في المنطقة .

توقف دي كويار قليلاً كأنه يستعد ليقول شيئاً مهماً :

– ربما تعجب سيادة الرئيس لو قلت لك ان من بين الذين تمنوا لمهمتي النجاح هو رئيس الولايات المتحدة الذي إلتقيت به وتحدثت معه أربع مرات منذ يوم السبت الماضي .

واستدرك موضحاً : " لكنني أود ان أؤكد لكم أنني لا أحمل أية رسالة .. ولست رسولاً من أي شخص " .

كان الإيضاح الذي قدمه الأمين العام حول نوع مهمته يحتمل تفسيرين يمكن ان يكونا قد جالا في بال الرئيس العراقي ووزير خارجيته وثلاثة آخرين من مساعديه كانوا يحضرون اللقاء .

التفسير الاول : أن دي كويار أراد منذ البداية ان يعطي إنطباعاً بأن مهمته ليست كبيرة ، وأنه سيركز على القوة المعنوية لمكانته كأمين عام في إبداء الرأي او تقديم الرجاء .

الثاني : أنه أراد بهذا التصغير والتبسيط لمهمته ، مثل القول : ( إنني رجل أمثل نفسي ) ، ان يتحاشى اعطاء أي انطباع عن كونه مبعوثاً من الرئيس الامريكي ، لانه كان يعرف جيداً أن العراقيين تحسسوا مسبقاً من لقائه مع الرئيس الامريكي ، وان المعلومات الأولية التي توصلوا اليها تدل على ان الرئيس بوش هو الذي طلب منه التوجه الى بغداد لإسقاط نرائح الإتجاهات المعادية للحرب داخل الولايات المتحدة وخارجها .. دون ان يخوله الإتفاق باسم الامم المتحدة او باسم واشنطن وحلفائها .

عاد دي كويار يضيّق مهمته ، بأبلغ الرئيس صدام حسين انه يرغب في مغادرة بغداد في الليل حتى يكون في أوروبا عند الصباح ، وبذلك قطع منذ البداية الطريق امام احتمال ان تكون هناك جلسة عمل ، او ان يكون هناك بحث في خطوات اجرائية ، او ان تعقد صفقة كاملة لحل الأزمة .  
قال دي كويار :

– تعرفون سيادتكم ان قرارات الجمعية العامة هي توصيات ، أما ما يصدره مجلس الأمن فهو ملزم للدول الأعضاء .

انتبه الأمين العام الى رد الفعل علا جملته الاخيرة فهو يقول أمراً مفهوماً وبديهاً ، ولا شك ان مستمعيه اعتبروه استخداماً مبطناً للغة التهديد ، عدا عن انه كلام يثير حفيظة العراقيين ، لأن العراق كان منذ الثاني من آب يثير قضية عدم تطبيق قرارات مجلس الامن الاتي اتخذها ضد اسرائيل على مدى أكثر من أربعين سنة ، مع انها من الناحية القانونية والشكلية ملزمة التطبيق .

استطرد دي كويار :

– لسوء الحظ ان تاريخ الأمم المتحدة يوضح ان بعض قرارات مجلس الامن لم تنفذ ، وأنني أعرف شعوركم جيداً تجاه ذلك ، إلا أنني كصديق لبلدكم أود القول بأن الأمثلة السيئة يجب ان لا تتبع ..

استمر حديث دي كويار أقرب الى حال من يقرأ في رسالة مكتوبة وكأنه يجاء الى بغداد ليقابل الرئيس دون ان يكون راغباً أصلاً بالدخول الى حوار معه :  
– إنني لست هنا بصدد الدخول في مناقشات معكم .

في هذه اللحظة بدا واضحاً ان المبعوث الدولي يقوم بزيارة خاطفة لم ين يتوقع ان يخرج بحل ، وزاد الامر تعقيداً أنه ناقض ما ذكره في بداية اللقاء من انه لا يمثل الان نفسه ولا يحمل رسالة من احد ، إذ ذكر بعد نصف ساعة من المقابلة انه التقى مع الرئيس بوش قبل اسبوع فقط ، وقد طلب منها ان ينقل الى العراق رغبته في الوصول الى حل سلمي ، وأضاف : ان قول بوش كان يتسم باليأس .. وذكر انه تحادث عبر الهاتف السري مع الرئيس الامريكي يوم مغادرته الى بغداد واستمع اليه يقول : ( إنني أفضل الحل السلمي ) .

وعلق دي كويار على حديثه الذي بدا أشبه بمنلوج داخلي :

– إننا لا نحتاج في العالم الى السلام وحده بل الى السلام والعدالة .

وصار يدفع عن نفسه مسؤولية قرارات مجلس الأمن : إنني لست مسؤولاً عن هذه القرارات ، فانا مجرد شاهد ، ولكنني مقتنع أنه يمكن قراءة قرارات مجلس الامن بأسلوب إيجابي .

وأضاف : لقد قمتم باتخاذ مبادرات ، منها مبادرة مهمة وبناءة متمثلة بقراركم بإطلاق سراح الأجانب فأزلتم بذلك عائقاً أمام تخفيف التوتر في المنطقة ، وان مبادرة 8 / 12 لم يتم فهمها بصورة جيدة ، وإنني أرى أنكم قمتم بجهد كبير في صالح القضية الفلسطينية ، ذلك أنكم وضعتم على قائمة جدول الأعمال مصير الشعب الفلسطيني .

وقال : لا أريد أن أجادلكم سيادة الرئيس إلا أن الإنجاز الذي تحقق للقضية الفلسطينية يعود فيه الفضل إليكم .

ثم عاد الى الوضع في الخليج :

– يجب ان نرى الطريق الذي من خلاله ننصاع لقرارات الأمم المتحدة وبخاصة القرارين 660 و 678 ، ان بلدكم يحتاج الى ضمانات ليس من اعضاء مجلس الامن الدائمين فحسب ، بل من آخرين ، وهذا الامر يمكن مناقشته .

لاحظ مستمعه انه استخدم تعبيرين هما ( الإنصاع ) و ( المناقشة ) ، فالعراق عليه ان ينصاع بدون مناقشة ، اما الضمانات التي يحتاجها فهي موضوع للمناقشة .

أخرج دي كويار ورقة وقال : لدي هنا أفكار أو جزها بالآتي ، وصار يقرأ :

( أتذكر ما قاله الرئيس الفرنسي ميتران : إذا استطعنا تنفيذ قرارات مجلس الامن فسيصير كل شيء ممكناً ، الامر المهم اذا اتخذ قرار بهذا الشأن فان واجب الامم المتحدة هو ضمان عدم قيام أي تهديد لبلدكم . وأمر آخر قاله الرئيس بوش وقد كتبتة على هذه الورقة الصغيرة قبل ان أعود الى بغداد : قال لي ( سنعمل على تخفيف العقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق إذا انصاع لقرارات مجلس الأمن ، وان الولايات المتحدة لن تهاجم العراق إذا حصل الإنسحاب واعيد الوضع الى ما كان عليه قبل 8 / 2 وهي لا تنوي الإحتفاظ بقواتها البرية في المنطقة ، وستساند المفاوضات بين العراق والأطراف المعنية ) .

وبعد ان انتهى من قراءة الورقة تحدثت عن الحاجة لتثبيت الأمن الإقليمي والتعاون في المنطقة :

– تتذكرون سيادتكم ان القرار 598 الذي تفضلتم وقبلتم به أشار في فقرتيه 7 و 8 الى ضمان الأمن والاستقرار في المنطقة .. والآن نحن بصدد تنفيذهما .. فعلق الرئيس صدام حسين :

– ولكننا لم نحصل على شيء منه .

كانت بغداد قد توصلت بعد سريان وقف اطلاق النار بين العراق وايران في آب ( اغسطس ) 1988 الى ان دي كويار يسهم في عرقلة تطبيق قرار مجلس الامن 598 ، ويحل دول قيام مفاوضات مباشرة بين العراق وإيران .. ففي تشرين اول ( اكتوبر ) 1988 طلب طارق عزيز من دي كويار خلال لقاءهما في نيويورك ان يدفع باتجاه المفاوضات المباشرة كإسلوب عملي لتطبيق القرار .. لكنه فوجيء بالأمين العام يقول له :

– وأين دوري أنا إذن ؟ ..

منذ ذلك الحين صدرت تلميحات في الصحافة العراقية ضد دي كويار دون تسميته ، وازدادت شكوك بغداد بدور الأمين العام وأهليته كطرف في صنع السلام الذي تبحث عنه مع ايران ، ولم تمنع القيود التي تجعل كلام المبعوثين العراقيين حذراً ومتحفظاً مراسل وكالة الانباء العراقية في الكويت سنة 1988 من إصدار بيان باسمه يهاجم فيه الامين العام للأمم المتحدة ويصفه بأنه ( رجل عاجز عن ملء مكانه ) .. ويطالب المجتمع الدولي بـ ( اعادة النظر في اهليته لتبوء منصب الأمين العام للأمم المتحدة ) ، وعندما أبدى الامين العام ازعاجه من ذلك البيان .. وجد ان المتحدث ليس شخصاً سياسياً او دبلوماسياً ، وانه مجرد صحفي يعمل في وكالة انباء حكومية لا يحتمل تصريحه رد فعل ضد حكومته .. ولكن السيد دي كويار قد يكون أدرك يومئذ ان الصحفي لم يكن ليتحدث لولا معرفته بأن حكومته لم تعد تثق بالأمين العام او تحترمه .

× × ×

انتبه المبعوث الدولي الى ان المشكلة التي يبحث فيها هذه المرة هي مشكلة ( معقدة ومتشعبة ) :

– لست من السذاجة بحيث أتصور اننا سنحل المشكلة هذه الليلة ، لكنني أريد ان أكون في موقف أستطيع معه ان أعود بشيء ما لبنني عليه .. ونقلل التوتر ونحرم تجار الحروب من فرصتهم ... هذه هي الأفكار التي أود ان أشاطركم فيها وشكراً جزيلاً .

لم يعلق الرئيس صدام حسين مباشرة على حديث دي كويار ولكنه سأله :

– أتأخذ قهوة مرة .. هاذ النوع من القهوة لا يساعد على النوم في الليل .

أجاب دي كويار :

– إنني أسافر كثيراً ومعتاد على مايسميه البريطانيون بالفرق في الوقت .. انني رجل كبير ، لكنني قوي بالنسبة لعمر الذي بلغ ( 71 ) عاماً ، فالرأس هو الذي يسيطر على كل شيء ..

علق الرئيس صدام حسين :

– الرأس هو المنظم .

ومضى يقول : – أنا استمع اليك وجدت ان هناك الكثير من الإيجابيات في ما تحدثت به ، وانا أتفق معك أنه في قضية كهذه يمثل هذا التعقيد ليس متوقفاً الإهتمام الى حلول في لقاء واحد ، ولا بد من الحديث عن هذه الامور بعمق وشمولية .

وراح يشرح موقف العراق :

– نحن لا نتنازل عن عضويتنا في العائلة الدولية للأمم المتحدة وأقصد دورنا المسؤول فيها . ومثل هذا الكلام يمكن ان يقوله الرئيس بوش او الاتحاد السوفيتي او فرنسا مثلما قلته انا ، لكن قيمة القول في مستنداته ، فنحن عندما نقول اننا نريد ان نكون جزءاً من العائلة التي هي الامم المتحدة وان نكون جزءاً مسؤولاً في ظروف كهذه .. علينا أن نقدم الدليل على أننا هكذا .. ونقول هاكم الدليل ، أنتم واكبتم الحرب بين العراق وإيران في مرحلة معينة .. والتقىنا بكم مرتين ، ثم اجري وزير الخارجية المحادثات معكم وليس مع ايران في اتفاق 8 / 8 / 1988 ، ثم جاءت رسالتنا الى الإيرانيين في نيسان

1990 التي ندعوهم فيها الى حوار على مستوى القمة ونؤكد لهم رغبتنا في السلام ، وانتم تتذكرون حال ايران العسكري في 1988 وتعرفون حالنا العسكري آنذاك والآن في 1990 .. فلماذا ؟ نحن نبادر دائماً لصنع سلام مع إيران لأننا نريد السالم ولأننا لا نستطيع ان نبني بلدنا بصورة صحيحة إلا في ظل السلام ، والذي يعرف كيف يبني لا يريد الحرب ، ولكن عندما تهدد أمننا تهددت أيضاً فرص البناء وحق الإختيار الحر لما نؤمن به ، فقاتلنا . وأضاف الرئيس : عندما تحققت الفرصة في 8 / 8 / 1988 لوقف اطلاق النار كإجابة لسلام شامل توصلت انتب ووزير الخارجية الى اتفاق حول ذلك بالهاتف .. وهو أنظم واسهل اتفاق لحالة كهذه حصل في نطاق الامم المتحدة ، لماذا حصل ذلك الاتفاق ؟ الجواب لان العراق يريد وتعاونته معك ، إذن هذا دليل من التاريخ القريب على أننا عائلة بناءة في الامم المتحدة ، وليست مشاكسة او مخربة ..

وتساءل الرئيس :

– هل يستطيع احد ، وبخاصة الولايات المتحدة ، ان يقدم دليلاً كهذا من تاريخ علاقته بالأمم المتحدة ؟ إن أحدث دليل في الامم المتحدة لقضية كبيرة جداً دام القتال فيها ثماني سنوات كان الرواد له هم العراقيون ..

وانتقل الرئيس الى موضوع الكويت :

– كان يمكن ان نتعايش مع الحالة كما كانت قبل 2 / 8 مظلماً كنا متعايشين .. نحن لم نستذكر فجأة ان الكويت كانت جزءاً من العراق واقتطعتها بريطانيا منها لتجعلها محمية ثم لتحويلها الى دولة سنة 1961 ، ونحن نعرف ان أيأ من ملوك العراق او رؤسائه الذين حكموا الدولة العراقية منذ سنة 1921 لم يقل ان الكويت ليست جزءاً من العراق ، وانتب الأمين العام للأمم المتحدة ليس لديك وثيقة موقعة من الطرفين تتضمن حدوداً حتى 2 / 8 / 1990 .

تساءل الرئيس مرة اخرى : ما الذي أوصل الامور الى ما وصلت اليه بعد 2 / 8 ؟ .. فأشار الى : التهديد الذي تعرضه العراق وتحولت فيه الكويت الى قاعدة بيد أمريكا وهو الامر الذي دفع لإستذكار الخلفية التاريخية ، وعرض مطولاً محاولات تطويق الموقف بين الدول العربية التي فشلت بسبب الضغط الامريكي ، وأشار الى ان العراق تعامل ايجابياً مع القرار 660 رغم انه لم يعترف به .. وسنرى لاحقاً ان العراق تعامل مع قرارات مجلس الامن ضده برغم اعترافه بها ، وهي ظاهرة جديدة في طريقة تعامل الدول ومستواها مع قرارات دولية ..

أشار الرئيس إلى أن العراق ، بعد تعامله مع القرار برغم عدم اعترافه به ، أعلن بوضوح انه سيسحب قواته يوم 4 / 8 ، وانه بدأ بسحب هذه القوات فعلاً ، ولكنه أوقف سحب القوات عندما استمر التصعيد الأمريكي ، وتزايد وصول القوات الأمريكية الى المنطقة . وتساءل : من المسؤول عن كل هذا ؟ واجاب على التساؤل : إنها الولايات المتحدة التي أدخلت الموضوع في تعقيدات كثيرة ..

\*\*\*

ماذا يحصل عندما تختفي دولة من خارطة العالم السياسي المعاصر .. ؟ .. لم يسأل الأمين العام هذا السؤال لكن الرئيس صدام حسين سأل السؤال وأجاب عليه :

– نحن نعرف ان المجتمع الدولي لن يصفق لنا عندما تختفي دولة هي عضو في الامم المتحدة .. ولكن عليه ان يعرف الحقائق . ولنعد الى القانون .. كيف يتحول عضو في العائلة الدولية الى متهم من غير ان يُسمع دفاعه ؟ وخاطب دي كويار : أنتب الأمين العام للأمم المتحدة ، تستطيع ان تجعل طائرة وزير الخارجية العراقي تصل إلى الولايات المتحدة ليحضر ويدافع عن وجهة نظر العراق . قال دي كويار : حاولت .. وقلت أن هذا هو بخلاف اتفاقية المقر .

وبدا أن صدام حسين أراد ان يعلق على مجموعة المشاريع والأفكار التي تدافعت في الأيام الأخيرة التي تقترب من اليوم الأخير على المهلة التي أعطاها مجلس الامن للعراق ، وكأنه يشير ضمناً الى أفكار فرنسية كان الوزير رولان دوما قد سلمها الى العراق ، او تلك التي كان المبعوث الفرنسي ميشيل فوزيل قد أشار اليها خلال لقائه مع الرئيس ، وتلتقي الافكار كلها على مطالبة العراق بشيء من دون إعطائه ضمانته بالحصول على أي شيء .

قال صدام :

إنهم يقولون الآن لينسحب العراق من الكويت ثم نعقد بعد ذلك مؤتمراً دولياً لمناقشة قضايا المنطقة وهذا ليس وعداً قطعياً بل هو مجرد احتمال ، في حين قدم في 12 / 8 / 1990 مبادرة ولم نكن نتصور انها ستقبل بحذافيرها ، ولكننا لم نكن نتصور أيضاً انها سترفض من غير جراحة ، فالرئيس الامريكي رفض المبادرة وهو في الطائرة بعد ساعتين من إعلانها وقبل ان يطلع عليها ، والاتحاد السوفيتي رأى أنها تتضمن عناصر ايجابية ، ثم عاد وانسحب من

الموضوع عندما وجد رد الفعل القوي من جانب الولايات المتحدة .. معنى ذلك ان هناك إصراراً على منهج معين يُراد منه تحقيق أغراض سياسية وعسكرية ، وعند ذلك لم تعد هناك قيمة للحديث عن مبادرات .

وأضاف : حتى الآن يقال لنا طبقوا الشيء الفلاني والفلاني .. هذا ليس حواراً وهذه ليست محادثات ، بل انها فرض ارادة .

وبعد الرئيس العراق الضغوط التي مارستها الإدارة الأمريكية على مجلس الأمن من ناحية ، ومجلسي الشيوخ والنواب من ناحية اخرى ، لإستصدار تخويلات بإستخدام القوة عمليات تهدف للضغط على العراقيين لينسحبوا بالتهديد ، وعلق على ذلك :

– العراقيون لن ينسحبوا بالتهديد ، عند ذلك سيضع بوش نفسه في الزاوية وسيضطر ليستخدم السلاح لأن الذي يهيبه مستلزمات استخدام السلام لا يشغل تفكيره بالبحث عن سبل اخرى .. لقد تعقدت الامور ، وحتى الذين يدعون الى انسحاب العراق لم يقولوا الى أين ينسحب بغض النظر عن رأي العراق .

لم يتوقف الأمين العام عند واحدة من أهم الإشارات التي أعطاها الرئيس له .. فقد فتح باباً لفكرة ( انسحاب ) ، وتحفظ على الإطلاق في استخدام كلمة ( الإنسحاب ) .

وهنا دعا الرئيس المبعوث الدولي لمشاهدة خريطة للمنطقة وبدأ يشرح له على الخارطة الكيفية التي توسعت بها حدود الكويت حتى وصل الى منطقة تدعى المطلاع التي كانت حتى سنة 1963 نقطة الحدود ، وقال لـ دي كويار : ان جواز سفر السيد ياسر عرفات مختوم في المطلاع .. وأضاف :

في ضوء هذا التعقيد عندما يقول أحدهم لينسحب العراق فالى أين ينسحب .

وتجاهل السيد دي كويار الملاحظة مجدداً .. رغم ان كلمة " انسحاب " عادت للظهور مرة اخرى خلال دقيقة واحدة .

وفجأة وصف المبعوث الدولي مهمته بأنها مهمة تسير عكس اتجاه السلاح :

– ان الذين يريدون الحرب سيجعلون من عودتي دون ان أحمل أي شيء جئت أطلبه ، ليس باسم الامم المتحدة بل باسم المجتمع الدولي .. قاطعه الرئيس صدام حسين :

– ان كل نقطة تحدثنا عنها تتضمن إعطاءك شيئاً ..

– أخشى ان لا يعد ما أخذه معي ملموساً بدرجة كافية لتخفيف التهديد المفروض علينا مثل السيف المسلط على راس العالم .

كان الحوار يتصاعد ، وكان الرئيس العراقي يخاطب من خلال السيد دي كويار القوى الدولية التي طلبت منها ان يأتي في الساعات الاخيرة ، ليلحق بالعراق ارهاقاً عصبياً وذهنياً في أدق لحظات الانتظار والترقب ..

قال الرئيس : لا بد انك تبحث عن ال نقطة المعلنة ، وهي ان يعلن العراق الإنسحاب ، وبعد ذلك .. كل شيء ممكن ! ، هذا ما اقتبسته من ميتران وليس من بوش الذي جاء يحارب . ولكن هذا الموضوع القاسي ليس فيه ضمانة لا من بوش ولا من ميتران ولا من الامم المتحدة ..

وأضاف : احتمال الحرب اصبح بالساعات ولن ينطق احد بكلمة الانسحاب .. لأن النطق بكلمة الانسحاب مع وجود احتمالات الحرب تعني تمهيد الأرضية النفسية لإنتصار العدو علينا ، أليس هذا ما يريده الأمريكيان ؟

وبدا أن الرئيس يلقي بالفرصة الأخيرة وهو يتحدث بكلمات حازمة :

– إننا مستعدون لمناقشة صفقة كاملة ، ولأننا نريد السلام ، وليس الحلول الجزئية ، نصر على مبدأ الصفقة الكاملة حيث لا يستطيع احد ان يخدع أحداً ، والكل يعرف بماذا يضحى وماذا يكسب .. أما البحث المجزأ فسوف يؤدي الى نهاية المطاف الى ظهور خادع ومخدوع .. خاسر ورابح .. خاسر ورابح ، ولا نعتقد ان هذا يخدم السلام .

\*\*\*

وفي اللحظة الأخيرة من اللقاء أراد دي كويار ان يعرض ما استنتجه من المقابلة بقوله : " فهمت ان موقفكم من الكويت لا يمكن التراجع عنه ، وفي هذه الحالة لا يمكن العمل بمبدأ الصفقة " .

فعلق الرئيس صدام حسين :

– أنا لم أقل هذا .. أنا قلت ما قلته .. إذا وجدتم ان الأمريكيان يفتشون عن طريقة لإخراج أنفسهم من المأزق دون ان يخسروا وليس بالضرورة ان يحققوا كل الذي في " مخهم " .. فمن الممكن ان نسيطر مبادئ ليفتش العرب عن حل طبقاً لها .

قال دي كويار ، وكانت الساعة تقترب من العاشرة ليلاً :

– هل تخولني ان اقول لمجلس الامن انكم تريدون مناقشات مستمرة من خلال الأمين العام .

– اعتباراً من هذا تحصيل حاصل ، ونتيجة الإستمرار قد تقدم صفقة .

\*\*\*

بعد نصف ساعة كان دي كويار قد توجه الى المطار ، في حين توجه الرئيس صدام حسين لملاقاء خمسين صحفياً عراقياً كانوا ينتظرونه طوال المدة التي مكث فيها دي كويار في مكتبه ..

وعندما كانت طائرة دي كويار تقطع نصف المسافة بين بغداد وباريس ، كان الصحفيون العراقيون يخرجون للتو من آخر مؤتمر صحفي عقده الرئيس قبل انطلاق الشرارة الاولى في موجة القصف على بغداد ، وظهرت الصحف العراقية في اليوم التالي تحت عناوين كبيرة ، أوقفوا على أهدافكم .. ليس ثمة مفاجأة في اللحظة الأخيرة .. فلسطين أقرب اليانا من أي وقت مضى .